Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما يتلقون «نصا» حقيقيا قابلا للاستعمال والتداول والرواية، تماما ككلام «الخواص». وفعلا، ظل هذا «النص» يقاوم الزمن، ورغم اعتماده بنحو خاص على الرواية الشفهية، فقد وصلتنا العديد من تجلياته مدونة وفي نسخ مختلفة.

وأخيرا، يمكن الذهاب إلى أن التمايز بين «النص» و«اللانص»، يستند في الاصل إلى أبعاد ثقافية واجتماعية وتاريخية. وهذه الأبعاد بقدر ما هي نسبية تظل تشي باصطفاف ثقافي ومعرفي له مبرراته الحضارية في حقب ثقافية وتاريخية معينة. وإذا كان الباحث في تاريخ الأفكار، أو الايديولوجيا يسعى، بناء على «ملاءمة اجتماعية» ما إلى تبرير أو تفسير أسباب سيادة نص على آخر، وينظر في مدى استجابته لشروط التقدم أو التأخر، وبذلك يعلن انحيازه إلى هذا النص ضد النص الآخر، فإن السردي كما نتصور، وبناء على «ملاءمة علمية» يعتمدها أساسا لأية «ملاءمة اجتماعية» محتملة ينطلق من محاولة البحث في «النص» لاستجلاء نصيته، والكشف عن خصوصيته، «وتفاعله» مع غيره من النصوص بغض النظر عن نوعية المتكلم وقصده، وذلك بهدف البحث في «النص الأكبر» والإمساك بأهم تجلياته التي تتحقق بشكل أو بآخر في هذا النص الذي يعتبرنصا، أو هذا النص الذي اعتبر في فترة ما «لانصا» في تقليد أدبي معين. وبذلك تتعالى «السرديات النصية» من حيث منطلقها عن مختلف الدراسات التي تسجن نفسها في «نص» معين، وترى فيه التجلي النصي الأسمى والأصدق في التعبير عن «عقل» معين، أو «فكر» معين أو «ثقافة» معينة.

إن ما أسميناه «النص الأكبر»، ونحن نتحدث عن العرب هو ما ساهم فيه كل منتج بالعربية بغض النظر عن نوعه وقصده. أما التجليات النوعية القابلة للتقاطب إلى ثنائيات كيفما كانت طبيعتها أو وظيفتها، وفي أي عصر فليست سوى «تجليات» ملموسة تتجسد من خلالها بعض مقومات النص الأكبر بما هو تمثيل للعقلية والذهنية العربية العامة. وأي اعتماد على بعض هذه التجليات، ومحاولة استخلاص صورة الإبداع أو العقل أو الفكر العربي برمته فليست سوى اجتزاء لعناصر من بنية أصل، وتقديمها على أنها هي الكل.

بهذا التصور يمكننا إخراج «النص» العربي في مختلف تجلياته من أسر «الحصر» و«النسبية»، وجعله أكثر اتساعا وأشمل من الاجتزاءات المفروضة عليه،